



الجمعة 2 يناير 2015 12:01 م

بقلم / محمد منصور

إن الأخ الصادق في رحلته مع كتيبة الحق إذا استنفر بادر و إن بادر أتقن و إن حمي الوطيس صبر ؛ فارس بالنهار في ميدان الدعوة و الحياة، يسحرك بأخلاقه وبالحق الذي بين جنبيه و بنفسيته التي أقبلت على الله ، متوهج توهج الأحجار الكريمة نور و لا نار، راهب بالليل قد نزع نفسه من بين أحضان الدنيا ؛ يلتمس الرضا و العون من رب السماء ؛ يدعوهُ : يدعوه : ثبت قدمي في المضي على دربك و امنحني القوة للتضحية بالنفس في سبيلك و هب لي قوة الصبر و التحمل) .

إذ قد علم أن حزن القلب و تحرك ماء العين لا يكفیان عندما تكون الثغور مكشوفة و العدو يتربص بدعوته الدوائر ، موقنا أن مداد الدعوة هو التضحيات و أن صاحب الدعوة الصادق هو أهل التضحية و الفداء الذي وصفه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « مِنْ خَيْرِ مَعَايِشِ النَّاسِ لَهْمُ رَجُلٍ مُمَسِكٍ عَنَّا فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَطِيرُ عَلَى مَنِيهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْفُوتَ مَقَالَةً » وقوله - صلى الله عليه وسلم - (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته) رواه الإمام احمد و ابن حبان .

هذا الغرس الطيب النبيل الذي تظهر قوة إيمانه في النكبات لا في الركعات و في الرزايا لا في الزوايا و الواقع و الواجب يفرضان عليه أن يخلع ثوب الكسل و حالة الترهل الدعوى التي لو صاحبت كل عمل مهما كان عظيما لكان هو و العدم سواء و قد حذر منها الشيخ محمد الغزالي فقال : (إن العواطف الفاترة و الأنفاس الباردة لا تحمي حقا و لا تصون عرضا) .

لذا فالأخ الصادق حياته شوق إلى الله ؛ من أجله يضحي بالغالي و الرخيص و النفس و النفيس حتى صارت حياته في هذا الجو الحركي النابض سعادة لا يحلم بها أثرياء العالم حتى و لو كانت حياته في ظاهرها متقشقة خشنة متواضعة محدودة و لكن في قلبه من السعادة ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم إذ هو المقصود بالحديث القدسي : (إن أعبط أوليائي عندي - أي أحق من يتمنى الناس مثل حاله - لمؤمن خفيف الحاذ - أي خفيف الظهر من العيال و متع الحياة - ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه و أطاعه في السر و كان غامضا في الناس و لا يشار إليه بالأصابع و كان رزقه كفافا فصبر على ذلك ، ثم نقر - صلى الله عليه وسلم - بإصبعيه فقال : عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ ، قلت بواكيه ، قل ترائه) رواه الترمذي و حسنه ابن ماجه .

فيا أخي إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك حيث قال صلى الله عليه وسلم :
 ("تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الحمصة، إن أُعطي رضي وإن مُنع غضب، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش".

و أفضل منه (طَوْبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَسْعَثَ رَأْسُهُ مُعَبَّرَةٌ قَدَمَاهُ إِنَّ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ كَانَ فِي الْجِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنَّ اسْتَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَمَعَ لَمْ يُشَمَّعْ) .

قد كبر الرب - سبحانه - في قلبه فصغرت الحياة ، نشيده (وربك فكير) وكان على نهج إبراهيم عليه السلام إذ قال : (لا أحب الآفلين) ، همته تروض المستحيل و لا ترضى بالقليل ؛ إذ عرف قدر نفسه ؛ إنه يحمل الوحي آخر رسالات السماء إلى الأرض ؛ لذا ينالم و يحلم و يستيقظ مجاهدا في سبيل الله ؛ أيقن يقينا لا ريب فيه أنه ستار القدرة و يأخذ الأجرة ، هو الذي تنتصر به الدعوات و تعلو به الرايات . و ما أجلى وأصدق قول الإمام الفخَّدد حسن البنا، في وصفه حيث يقول: "أستطيع أن أتصور المجاهد شخصا قد أعدَّ عُدَّتَهُ، وأخذ أهْبَتَهُ، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام، على قدم الاستعداد أبداً" إن يُدْعَى

- ثم يقول: "أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه، ويأكل ملء ماضغيه، ويضحك ملء شدقيه، ويقضي لاهيًّا لاعبًا عابثًا ماجئًا، فهيئات أن يكون من الفائزين أو يُكْتَب في عداد المجاهدين".

و آخر القول من عيوني رسولٌ *** علَّ دمعِي يقول ما لا أقولُ
أيها الصبح هكذا الدهر يومٌ *** في ابتهاجٍ و يحزن النفس يومٌ
فاصبروا تغنموا و للأجر روموا *** رب بارك في جمعنا في لقانا